الحـــج في عيـون الشعـــراء

الحـــج في عيون الشعــراء

ونبدأ بخاتمة الحفاظ وسيدهم ابن حجر ، وخبرني بالله عن فؤادك ودمعك .. قل لي : هل أثّرت الأسانيد والعلل في رقة فؤاد ابن حجر .. لتعلم أن أهل الحديث هم أرق الناس أفئدة ومواعظ .. ﴿بضاعتنا رُدَّت إلينا﴾ .

قال الحافظ ابن حجر حسب ما اقترحه الحادي في سفرهم إلى مكة من اليمن مع الركب المجهز منها :

رعى اللهُ ركبًا يمّمُوا أرضَها التي ... أجادَتْ يدُ الغَيْثِ الهَتُونِ صِقَالَها[1]
ولما أَلَمُّوا في السُّرى بِيَلَمْلَم ... لأَجْسادِهم احْرامُهَا قد حَلاَلَها[2]
وَلَبُّوا فَبلُّوا بالنَّسيمِ عَلِيلَهم ... وحَيَّوا فأَحْيَوا لِلنفُ [illegible][3]
يمِينًا بهَبات النَّسيم بسُحْرةٍ ... لقد فَاز مَنْ مَدَّتْ إليه شِمالَها[4]
شدا باسمها الحادِي فحركَ ساكِنًا ... وذَكَّر موصولُ الحنين اتِّصالَها
ولما رأَوْا اعْلامَها هاجَ شوقهُم ... وحَثُّوا مطاياهم وحَلُّوا عِقالَها
وحين تَجلَّى وجْهُهَا خَضَعُوا له ... فَلِلّهِ رَبِّي ما أَعَزَّ جلالها
وماأَقرا [illegible] مُسْتَبْشِرين بأَنْعُمٍ ... مِن اللهِ لم يُحْصُوا بِعَدٍّ خِصَالَها
رَقَوا لِلصَّفَا بالحمدِ شكرًا لسعيهم ... وبالمروة النفسُ اشْتَفَتْ ما بَدَا لَها[5]
وقد أُسْعِدُوا يومَ الصُّعُودِ وأُسْعِفُوا ... ونَالَتْ نُفُوس الطَّالِبين مَنَالها

(1) يمموا : قصدوا ، الهتون : المدرار .
(2) يلملم : مكان يحرم منه الحاج القادم من اليمن .
(3) بلوا : شفوا .
(4) بسحرة : وقت السحر .
(5) رقوا : صعدوا .

وفي عرفاتٍ عُرِّفوا بسَعَادةٍ عَلَيْهم بجمعِ الشَّمْلِ شَامُوا اشتِمَالها[١]
فكم تائبٍ مُستغفرٍ مُتيقِّن بمغفرةٍ تَهْمِي بفَيضٍ سِجالها[٢]
وذي عِلّةٍ قد طال عُمْرُ مِطالِهَا فَقصرَّ عَفْوُ الله عنه مِطالها
وإذ نَفَرُوا فَازُوا فهم نَفرُ التُّقى سقَتْهم سَحَابُ العفو صَفْوًا زُلَالها[٣]
بمزْدلفاتٍ أقبلَ الوَفْدُ مُقبلا ولاَقَتْ من البُشْرى النُّفوسُ اقْتِبَالها
أفاضوا دموعا إذ أفاضوا مخافةً مِنَ البَيْن أحْيَتْ لِلنفوسِ اعتلَالها
وعادوا لتوديعِ الحَما سُبْقَ الحَما وألسِنةُ الوفدِ استطابتْ سؤَالَها
وزمزم حَادِيهم بزمزمَ مُرْصَدٍ تروَّى وذي صدٍّ حَبَتْهُ وصِالها[٤]
وبل غليلًا في طواف وداعه فأحسن لكن كم دموع أسالها[٥]
وقد رفَعوا أيدي الدعا بانْكِسارِها وجَزْمِ الرَّجا حتى أتى الفَتْحُ حالها
وما استكثروا من أدمع مستهلَّةٍ نهار استَقلُّوا للرحيلِ انْهِمَالها[٦]
وقلَّ لقومٍ فَارَقُوا الكَعْبَةَ البُكَا وقد فَقَدوا أفْضَالَها واكْتِمالَها
وقَدْ آل ذاكَ الصَّحْبُ بَعْدَ وَدَاعِها إلى أسفٍ إذْ فارق الصَّحْبُ آلها[٧]
أجادُوا وجَدُّوا في السُّرى قاصِدي الحِـ ـمَى وقد نَفَّرُوا ضَبَّ الفَلا وغزَالها[٨]
وشَارَفَ من أرْضِ الحصَيِّبِ دليلُهُم عرائسَ روضٍ حينَ أرْخَتْ دَلالها[٩]

---

(١) شاموا : نظروا وتطلعوا .

(٢) تهيي : تتابع وتعمر ، السجال جمع سجل ، وهو ذنوب الماء .

(٣) نفروا : يقصد النفير إلى مزدلفة .

(٤) زمزم حاديهم : صاح بصوت مدوٍّ ، مُرْ صَدٍ : أي : مر أيها الظامىء . تروَّى : تضلع من مائها . ذي صَد : صدود .

(٥) وبل : روى . غليلا : شوقا .

(٦) انهمالها : سيلانها .

(٧) آل : رجع . آلها : أهلها .

(٨) السرى : المسير .

(٩) شارف : رأى عن قرب . الحصيب : مكان باليمن .

أغانيَ حاديهم شُكْرٌ لربّهم وأدْعيةٌ لا يكتمُون احتفالها(١)
إلهي مَثُلُ الشمس لاحتْ ذُنُوبُنا فَيسِّرْ علينا بالمَتاب زوالها
أحلْنا على العَفْوِ العَميم فإنّنا سئمْنا على التّسويف دَهْرا محالها
وَصَلِّ على خَيْرِ الأنام مُحمدٍ صلاةً مدى الدُّنيا تُدِيم اتّصالها

○ مكة .. صوت الزمان(٢) ○

الشاعر العراقي : يحيى السماوي .

وعندما رأى الشاعر أنوار مكة .. وضياء بيتها .

قف يا ابن « دجلة » لاح نور قبابها فامسك فؤادك قد يَفِرُّ لبابها
وأطل سجودك يا ابن دجلة شاكرًا وانثر على جُرحَيك من أعشابها
واغسل بماء الذكر ثغرك ربما بالأمس كنت خطبت غير خطابها
قف يا ابن دجلة واستحم ، فلربما رمت الدروب عليك بعض شوابها
أوصى بها الرحمن ، فهي عظيمة من غيرها الرحمن قد أوصى بها ؟
لو لم تكن خير البلاد على الثرى ما كان بيت الله فوق ترابها
وَلَمَا اصطفاها الله قبلة خلقه وَلما سعى الساعون نحو ركابها
ولما اصطفى خير البرية مرسلًا بالحق والتوحيد من أعرابها
وقفتْ على رأس الخلود بدينها وبأهلها تاجًا ، ألا أعظم بها
النسك والإيمان من أفيائها والعدل والإحسان من أطيابها
فكأنها صوت الزمان وثغره وكأن « زمزمها » زلال رضابها
« سجيلها » باق على أعدائها وعلى حقول الحق : قطر سحابها
أترابها خير الترائب ذا « منى » وهناك « طيبة » أين من أترابها؟

(١) احتفالها : التجمع بها .

(٢) المجلة العربية العدد ١٨٨ السنة ١٧ ص ٣٠ .

دانت لها الدنيا ، فما عرف الورى شِعبا طهور الظل مثل شعابها
لو يوضع البيت العتيق بكفة والأرض في الأخرى لأعدلها بها
حمدًا لك اللهم أن أبصرتني درب الحجاز نكنت من أنسابها
هي قلب هذي الأرض ، مقلة وجهها والباقيات علقن في أهدابها
خُلق النهار كصبحها متألقـا والليل داج مثل كون حجابها
فسل « الصفا » و « منى » وكل ثنية عن أشرف الماشين فوق رحابها
حجت لها قبل الأنام سماؤها بحجيج « سجيل » على سُلّابها
أرض يكاد – لفرط عزة رملها – يروي عطاشى الماء وهج سرابها
جمع الزمان جميعه فإذا بـه يجثو خشوع القلب في محرابها
من هاهنا مر « الأمين » ومن هنا أسرى وفاض العدل من « خطّابها »
ما زال يخترق الفضاء « بلالها » هرم الزمان ولم تزل بشبابها
عشرون عامًا ما اغتسلت من اللظى واليوم أبردني عظيم شرابها
أهلي .. من ازدانوا بنور فضائها وأحبتي في الله .. من أحبابها !
أبكي على وطني .. وحين دخلتها صار البكاء توسلا لثوابها !!
أعظمت من شوقي خيول تشردي لما رمتني في نعيم هضابها ... !
وطني عزيز .. والأعز من الثرى ديني ، فما روحي بغير كتابها ؟
فوحق من خلق الخليقة واستوى حلمي يكون القلب عُتبة بابها
فاغسل فؤادك يا شريد بمائها أو شحَّ ماء فاغتسل ترابها !

وتحت عنوان « وفد الحجيج » كتب أحمد محمد الصديق :

يا مُحْرِمُونَ .. شعار الصالحين على وجوههم .. للهدى والخير تزرعُهُ
كأنه من جنان الخلد مُقْتَبَسٌ وفي الجباه يَدُ الرحمن تَتْبَعُهُ
يا مُحرمونَ ، كيوم البَعْثِ مَنْشَرهُمُ شَمْلُ البَرِيَّةِ هذا اليومُ يَجْمَعُهُ
من كل جِنْسٍ ولَوْنٍ أقبلوا زُمَرا حيثُ التَّفاضلُ للإيمانِ مَرْجِعُهُ
تجرَّدُوا من هوى الدنيا وزُخْرُفِها وكلهم في رِضاءِ الله مَطْمَعُه

وما سكب الميزابُ ماءً ، إنما ... أفاضَ عليك الأجرَ والرحمات
وزمزم تجري بين عينيك أعينا ... من الكوثر المعسول منفجرات
ويرمون إبليس الرجيم، فيصطلي ... وشانيك نيرانًا من الجمرات
لك الدين يا رب الحجيج جمَعْتَهُمْ ... لبيتٍ طَهُورِ الساحِ والعَرَصات
أرى الناس أصنافا ، وفي كل بقعةٍ ... إليك انتهوا من غربة وشتات
تساوَوْا، فلا الأنسابُ فيها تفاوتٌ ... لديك ، ولا الأقدارُ مختلفات
عَنَتْ لك في التُّربِ المُقَدَّسِ جبهةٌ ... يدين لها العاتي من الجبهات
وركب كإقبال الزمان محجَّل ... كريم الحواشي كابرِ الخطوات
يسير بأرض أخرجت خير أمة ... وتحت سماء الوحي والسورات
يفيض عليها اليُمْنَ في غدواته ... ويُضْفِي عليها الأمنَ في الروحات
إذا زرت بعد اليوم مسجد أحمد ... وشاهدت مثوى سيد السادات
ستهمي مع الدمع العيونُ مهابةً ... لأحمد بين السِّتر والحَجراتِ
ويشرق نورٌ تحت كلِّ ثَنيَّةٍ ... وضاع أُريجٌ تحت كل حصاة
لمظهر[1] دين الله فوق تَنُوفَةٍ[2] ... وباني صروح المجد فوقَ فلاةِ

ومع الحج تمضي الام المسلمين وأشجانهم مع فرحهم بالحج ... ولا ننسى أولى القبلتين .. وحمامها الذبيح .. ومنبرها الباكي .. وأذانها .

رأيت الحمام الذي كان يصغي لصـ ... ـوت الحواميم يهتز منه خشوع الرحيق
رأيت الحمام ذبيحَ الأمان جريح المكان ... يولـول في صمتـه لا يفيـقْ

فكان لا بد من وقفة مع قدسنا وهي تناجي أختها مكة .

(١) معلنه : الجاهر به .
(٢) المفازة ، وهي الأرض الواسعة البعيدة الأطراف .

مُسالمين – فلا بَغْيٌ ولا حَرَبٌ ولا يُراودُ جَفْنَنا ما يُرَوِّعُهُ
ترى الخيام على ظهر الربى نُصِبَت كالبحر .. منشورةً للريح أشرُعُهُ
هذي وفودك يا رحمنُ قائمةٌ بَضُمُّها من جميل العفو أوسَعُهُ
في مَهْبِطِ الوحي كم تنسابُ ذاكرةٌ تثير في القلب أشجانا تُلَوِّعُهُ
كم في المنازل من طيف ومن أثر يكاد يَنْطِقُ بالأخبار موضعه
عفت عليه الليالي وهو ملتحف بالصمت.. يسترجع الأحداثَ بَلْقَعُهُ
وفْدَ الحجيجِ سلامٌ عاطرٌ عبقٌ رَبُّ البريةِ بالغُفرانِ يَشْفَعُهُ
وفد الحجيج .. ألا فلتذكروا أبدًا مَجْدا لنا غابرًا لابدّ نُرجِعُهُ
لا تتركوا القبلة الأولى .. ومسجدُها يشكو .. وكم طال في البلوى تَفَجُّعُهُ
من هاهنا من ظلالِ البيتِ طاهرةً أذيالُنا .. مبدأُ التحرير نُزمِعُهُ
لا ، لن نعودَ وفي أرواحِنا وَهَنٌ ولن يَضُمَّ خلي البال مَضْجَعُهُ[1]

ويقول حفظه الله :

يا مَوْطِئًا من عهدِ إبراهيم لَا يُمْحى .. ولا تَعْفو عليه رياحُ
بيدِيه شادَ أجلَّ بيتٍ يُبْتَنَى لله يُغْدَى نَحْوَهُ ويُراحُ
تهوي النفوسُ إليه .. فهي بساحِهِ لا إثْمَ يُرهِقُها ولا أتراحُ
وهُنَاكَ « إسماعيل » قامَ مُلَبِّيًا وكلاهما بدعائه مِلْحاحُ
قمرانِ من وحِي الإله سناهُما خُلُقٌ أبرُّ . وعِفَّةٌ وسماحُ
ربّاه .. هذا البيتُ بيتُك خالِصًا ومعالمُ التوحيد فيه صُراحُ
أرِنَا مناسِكَنا على النهج الذي يُرضيك عَنَّا ..ليس عنه بَراحُ

ويقول أمير الشعراء شوقي في قصيدته إلى عرفات :

على كُلِّ أُفق بالحجاز ملائكٌ تَزف تحايا الله والبركاتِ
لدى الباب جبريلُ الأمين ، براحِهِ رسائلُ رحمانيةُ النَّفَحَاتِ

(١) نداء الحق . ديوان شعر لأحمد محمد الصديق ص ١٥٢ - ١٥٦ .

○ حمام الحرم ○

طار الحمام بأفق البيت والحرمِ قيثاره الحر يشدو أروع النغمِ
إن حط أو طار تشجيني مهارته ياليت لي مثله خفقًا إلى القمم
تشدني الأرض والآثام تثقلني ضلت ركابي بتيه اليأس والوهنِ
أنام أحلم «بالسلم» الذي هصرت أغصانه دمدمات الغدر والمِحَنِ
طر يا حمام الحمى وانشر ضراعاتي واحمل دموعي وآمالي وآهاتي
وصغ من النكبة الكبرى موشَّحة يهتز من شجوها ليل الأسى العاتي

○ حمامة الحَرم الشريف ○

أَحمامةَ الحَرَمِ الشَّريفِ سَلاما تَيَّمْتِ قَلْبَ المُسْتَهامِ نَهامَا
أَنا لَيْسَ لي هٰذا الجَناحُ .. وإنَّما لي هِمَّةٌ فَوْقَ الغَمامِ مُقاما
الرُّوحُ لو تَدْرِين أَرْفَعُ رُتْبَةً وأَعَزُّ في التَّحلِيقِ إِذْ تَسامَى
للهِ تَعْرُجُ تَسْتَضِيءُ بنورِهِ وتَعودُ أَشْرَفَ غايَةً ومَراما
يا أُختَ طاوِيَةِ الجَناحِ مَهيضة في القُدسِ تَمضُغُ في الأسى آلامَا
أُصْمَتْ رِماياتُ العَدُوِّ فُؤادَها ظُلْمًا .. فباتَتْ تَلْعَقُ الآلاما
وَرَنَتْ.. فَلا إِلْفَ يُداوِي جُرْحَها في القَيْدِ أَوْ يَرْعَى هُناكَ ذِماما
وشَدَتْ فَلا أُذُنٌ تُصِيخُ وأَجْهَشَتْ أَسَفًا .. لِتُطْفِىءَ لَوْعَةً وضِراما
أَحمامَةَ الحَرَمِ الشَّرِيفِ أَلا انعَمي لَكِ هاهنُا عَيْشٌ يَلَذُّ سَلاما
هلْ تَرْقُبِينَ مِن الأعالي مَطْلَعًا للنُّورِ يَمْحُو جَهْمَةً وظَلاما ؟!
وتَرَيْنَ سَيْفَ الحَقِّ مَشْحوذَ السَّنا يَفري القُيودَ.. ويَمْحَقُ الأَوْهاما؟
يا لَيْتَها آياتُ فَجْرٍ صادِقٍ تُذْكِي المُنَى .. وتُحَقِّقُ الأَحْلاما
أَنا في رِحابِ الطُّهْرِ قَلْبٌ خاشِعٌ يَجلُو الهُمومَ .. ويَغْسِلُ الآثاما
وغَدًا أَعودُ إِلى الدِّيارِ تَطَلُّعًا حُرًّا .. وعَزْمًا للعُلا مِقْداما
أَمْضِي وصَحْبِي في الحَيَاةِ أَعِزَّةً ونَمُوتُ في ذاتِ الإِلٰهِ كِراما

○ طاف بالبيت ○

للأستاذ : وليد الأعظمي :

طاف « بالبيت » فاستهلت جُفونُهْ عَبراتٍ فاضتْ بهنَّ شؤونُهْ
واحتواه من الجلالةِ شوقٌ وبأعماقه استفاق دَفينُه
شاعر عاشق له سُبُحاتٌ بهوى المكَّتيْن بادٍ حنينُهْ
هائم قلبُهُ ، وفي كل وادٍ عند « أُمّ القرى » تَهيج شجونُهْ
يَتَملَّى من الجمال فنونًا وجمالُ الإيمان شتَّى فنونُهْ
ويداري هواه بالشعر نحوي فيباريه بالنشيد أنينُهْ
وانثنى ضارعًا وللدمع سَمْطٌ لؤلؤيٌّ منثَّرٌ مَكنونُهْ
يشتكي باللوى لواعجَ شوقٍ وبِسَلْعٍ وساكنيه سكونُهْ
بثَّ شكواه بالقريضِ حزينًا ومن الشعر ما يُريحُ حزينَهْ
وتمنى وهو الذي قد تساوتْ عنده أُمنياتُهُ ومَنُونُهْ
هيبة « البيتِ » علَّمته بيانًا بالهوى زاد والتقى تبيِنُهْ
رقَّ باللفظِ شعره ، والمعاني حين راقت يَزينُها وتُزينُهْ
كلُّ أنشودةٍ له حينَ تُتلى تُنعِشُ القلبَ رقةً وتُلينُهْ
كالغواني الحسانِ مِسنَ دلالًا وجنى الروض قد تَدَلَّتْ غصونُهْ
أيها الشاعر المُشوق تمهَّل « كعبة الله » هذه و « يَمينُهْ »
يَجِفُ القلبُ خاشعًا في حِمَاهَا و « بأركانها » يطيب ركونُهْ
و « مقامُ الخليل » فيضٌ ونورٌ للبرايا مكانُهُ ومكينُهْ
وصلاةٌ « بالبيتِ » تَعدلُ عُمْرًا بالضلالاتِ قد تَقَضَّتْ سنونُهْ
عَرَفَ الأنسَ شاعرٌ أرهَقتْهُ بالخطايا ذنوبُهُ وديونُهْ
ملأ الحبُّ قَلبَه والحنايا ألَقًا من سناه ضاءَتْ دجُونُهْ
واستنارت له سبيل هُداه فتلاشَتْ أوهامُهُ وظنونُهْ

وتسامى بالروح حين استقرَّتْ   جَبْهَتاه على « الحصى » وجَبِينُهْ
مطمئنَّ الضمير طَلَقَ المُحيا   رَضِيَتْ نفسُهُ وقَرَّتْ عيونُهْ
وله في النهارِ سَبْحٌ طويلٌ   تَتوخّاه في الحياة شؤونُهْ
ويعاني بناشئات الليالي   وَطْأةً ، ربُّه عليها يُعِينُهْ
ويناجي الإلهَ بسرٍّ خفيٍّ   عن سوى الخالقِ العظيم يصونُهْ
حَسْبُهُ وقفةٌ بِجُنْح الدياجي   والخليُّون هُجَّعٌ ومجُونُهْ
حَسْبُهُ سجدةٌ ستغدو كتابًا   تَتلقّاه بالحسابِ يَمينُهْ
ورحيقٌ من نبعِ « زمزم » يروي   كلَّ صادٍ تَسنيمُهُ ومَعِينُـ
فَجَّرَتْها عناية الله عينًا   أَيـنَ منها أنهارُهُ وعيونُـ
ثَرَّة بالعطاءِ وبالخيراتِ ثَجَّـ   ـاجُها طعام طُعْمٍ سمينُه
وشفاءٌ من كلِّ سُقمٍ وداءِ   يتلوّى مبطونُهُ وطعينُهْ
يغمرُ القلبَ بالمسرّاتِ وادٍ   آهلاتٌ منه الصفا وحَجُونُهْ
وهدير الدعاء لله حولَ الـ   ـبيت طَابَتْ أنغامُهُ ولُحونُهْ
واختلاف الألوانِ في الحج   والألسْن آيات بهنَّ يَقْوى يَقينُه
قصدوا موطنَ الرجاءِ وفودًا   وسحابُ الرِّضْوَانِ سحٌّ هُتونُهْ
يبتغون الرِّضا ويَرجُونَ ربًّا   مانحًا فضلهُ لمَنْ يَستعينهْ
وعَجِلنا إليك ربُّ لترضى   يومَ لا ينفع القرينَ قرينُهْ
وبحوم المضمار لن يتساوى   أعوجيٌّ مُجَرَّدٌ وهَجينُهْ
ومضَى ركبُهُ إلى « عرفات »   وبوادي نُعْمانَ حَطَّتْ ظُعُونُه
ومِنَ الدَّمْعِ هَلَّ بالسَّفحِ سَفْحٌ   فوقَ خديهِ يَستَدِرُّ سَخِينُه
جذوة الوجد بين جَنْبيهِ شَبَّتْ   كشبا السَّيفِ أرهفتْه قُيونُهْ
كلَّما حاولَ اصطبارًا عليه   يَهتِكُ الدَّمعُ صَبرَهُ ويخُونُهْ
وطيوب « الخيام » فاحَتْ فقلنا   عَطَّر الرَّوضَ عابقًا نسرينُهْ
ورياحُ البشرى وبين يَديها   تتهادى بِيضُ السَّحابِ وجُونُهْ
والغماماتُ ظُلَّةٌ تتنزّى   بالرَّبابِ الرَّطيب إذ حان حِينُهْ

بـردهُ يطفـيءُ الأوامَ كريمًـا ويُنقـي الفـؤادَ ممـا يَرينُـهْ
وترى أوْجُـه العبـادِ وضاءً زانهَا نَضرْةُ النَّعيـمِ ولينُـه
ناضِـرَاتٍ لِرَبِّهـا نَاظِـرَاتٍ أزلِفَتْ حُورُهُ إليهم وَعِينُـهْ
وضجيجُ الحجيج يَعلو وَيحلو بالمناجـاةِ وَقْعُـهُ ورَنينُـهْ
رَبَّنا هَبْ لنا من الأمرِ رُشدًا وسبيلًا إلى العُلا نَستبينُـهْ
نَجِدُ الأمْنَ والسعادة فيـه فَلَقدْ عَزَّ من سبيل أمينـه
ولقـد ذَلَّت الرِجَـال ودانَتْ لِلّذي كان قبلَ ذاكَ تُدِينُـهْ
نَقَضتْ عهدها وخانَتْ فَهانتْ واعتراها ذُلُّ الفسادِ وهونُـهْ
ورأينـا بـأعيُنِ العَجـز مِنّـا هَجْعَةَ الَّليثِ حين دِيسَ عَرينُهْ
عزمةٌ منكِ تبعث العزم فينا صارمًا حَدُّه وَرَيًّا كمينُـهْ
أملًا يملأُ النفـوس فيـمضي يَحْطِمُ القيدَ بالإباءِ رَهينُـهْ
كالربيعِ الضَّحوكِ يَطْفَحُ بِشرًا بـأزاهيره زَهَـا تلوينُـهْ
وعلى سَجْعِ طيرِهِ وغِنـاهُ رَفَّ زَيتُونُهُ وَرفـرَفَ تِينُـهْ
أجدَر النّاسِ بالكرامةِ عبـدٌ تَلِفَتْ نَفْسُه لِيَسْلَمَ دِينُـهْ

○ لم يبق لي عرفات إلّا دمعة ○

يَا دَارُ مَا بِكِ ! هَزَّكِ الحِرْمَانُ وَعَرَاكِ مِنْ ذِكْرَى الشَّهِيدِ حنَانُ
فَكَأَنَّ أَرْضَكِ لَمْ تَعُدْ تَلْقَى الفَتَى يَمْضِي يُبَارِكُ شِلْوَهُ الرَّحْمَنُ
عَجَبًا ! وَحَوْلَكِ عُصْبَةٌ عَطَّافَةٌ وَعلى رُبَاكِ مَصَارِعٌ وَسِنَانُ
لَمْ تَرْوَ مِنْ دَمِهَا الرُّبَى! أين الأُلَى سَبَقُوا وَكُلُّ جِهَادِهِمْ إحْسَانُ
شَوْقٌ وَكُلُّ حِيَاضِهَا مَمْلُوءَةٌ وَجَوىً وَكُلُّ مَرَاحِها فِتْيَانُ
أنَا مَهْبِطُ الوَحْيِ الكريمِ وَسَاحَةُ الـ ـمَسْرى العَظِيمِ وآيةٌ وَجنَانُ
حَرَمٌ يُبَارِكُهُ الإِلَهُ ، رَحِيقُـهُ تُغْنَى به الذَّرْوَاتُ والوديـانُ
حرمٌ تحنُّ له القلوبُ ويرتوي عِنْدَ اللّقاءِ وَخَفْقِهِ الظَّمْآنُ
أنا مِن هناك ! جلت مرابعي النبـ ـوةُ وَالتَقَتْ في سَاحِيَ الفُرسَانُ

أَنَا مِنْ ثَرَى عَدْنٍ طَوَيْتُ جَنَانَهَا ... قُدْسًا وَمَكَّةَ ضَمَّهَا رِضْوَانُ
لاَ أَرْتَضِي إِلَّا الدِّمَاءَ غَوَالِيًا ... لله ! يَصْدُقُ بَيْعَها الطِّعَانُ
تَجْلُو مِنَ الأَنْوَارِ ثَرَّ نَجيعِهَا ... وَيَفِيضُ مِنْ رَيِّ القَنَا الإِيمَانُ
تَتَلَفَّتُ الدُّنْيَا عَلى سَاحَاتِهِ ... وَتُعَضُّ مِنْ فَرْطِ الأَسَى أَجْفَانُ
الذِّكْرَيَاتُ الخَالِيَات بَوَارِقٌ ... يَطْوِي لَوَامِعَ بَرْقِهِنَّ دُخَانُ
جَوْنٌ تُلُفُّ الدَّارَ فِي طَيَّاتِهَا ... وَتَمُور فِي أَحْشَائِهَا الأَحْزَانُ
مَا أَرْعَدَتْ إِلَّا نُوَاحَ مُصِيبَةٍ ... وَالدَّمْعُ بَيْنَ سَوَادِهَا حَيْرَانُ
أَلْقَتْ بِكَلْكَلِهَا بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... وَمَضَتْ تَجُرُّ ظَلَامَها الشُّطْآنُ
أَحْنَتْ مَنَائِرَهَا الهِضَابُ تَفَجُّعًا ... وَبَكَى عَلى فُرْسَانِهِ المَيْدَانُ
وَتَشَعَّبَتْ دُونَ الظَّلَامِ مَسَالِكٌ ... شَتَّى وَكَانَ سَبِيلَنَا القُرْآنُ
وتَبَعْثَرَتْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ رُؤًى ... وَطَغَى عَلى أَشْبَاحِهَا النِّسْيَانُ
رُدِّي رَوَابِي الصِّينِ أَيْنَ مُحَمَّدٌ ... والسُّورُ تَنْهَدُ حَوْلَهُ الفُرْسَانُ
حَمَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ تُرَابِكِ حَفْنَةً ... صِيدٌ يَجُرُّ أُنُوفَهَا الإِذْعَانُ
لِيَدُوسَهَا وَيَبَرَّ بِالقَسَمِ العَظِيمِ ... وَيَنْثَنِي مِنْ كَفِّهِ الإِحْسَانُ
فَإِذَا بِهِ يُلْقِي عَلَيْكِ مِنَ الهُدَى ... أَلَقًا وَيَعْلُو بَعْدَ ذُلٍّ شَانُ
وَالسِّنْدُ مَا لِلدَّاجِيَاتِ تَلُفُّه ... وَالذِّكْرَيَاتُ عَلى ذُرَاهُ أَذَانُ
رُدَّتْ إِلَيْهِ مِنَ اللَّيالِي سُودُهَا ... وَاسْوَدَّ بَعْدَ صَفَائِهِ مُهْرانُ
رُدِّي رَوَابِي الهِنْدِ أَيْنَ شَرِيعَةُ ... الرَّحْمَنِ مِنْ سُلْطَانِها السُّلْطَانُ
كَم كَانَ يَبْرِقُ فِي دِيَارِكِ نُورُهَا ... أَمْنًا ! فَغَابَ فَأَيْنَ مِنْكِ أَمَانُ
فَتَقَطَّعَتْ مِنْكِ الرُّبَا وَتَمَزَّقَتْ ... مِنْكِ الرُّؤَى وَتَنَاثَرَ الإِيوَانُ
دَارَ السَّلَامِ وَأَيُّ لَحْنٍ لَمْ يَكُنْ ... شَكْوَى بِدَارِكِ إِنْ شَدَتْ بَغْدَانُ
ذِكْرَى لِدِجْلَةَ وَالفُرَاتِ وَسَاحَةٍ ... غَنَّاءَ تَخْفِقُ عِنْدَهَا الأَلْحَانُ
تَمْضِي رُبَا الأُرْدُنِّ بَيْنَ مِيَاهِهَا ... ذِكْرَى يُعِيدُ رُوَاءَهَا الجَرَيَانُ
ذِكْرَى تَمُرُّ بِكُلِّ خَفْقَةِ مَوْجَةٍ ... أَوْ زَهْرَةٍ فَاحَتْ بِهَا عَمَّانُ
وَدِمَشْقُ تَطْوِيهَا الضُّلُوعُ صَبَابَةً ... وَتَغِيبُ بَيْنَ جُفُونِيَ السُّودَانُ

وَالمغْرِبُ الزَّاهِي أُرُدُّ لِسَاحِـهِ   طَرْفِي فَيَهْفُو لِلِّقَا إِخْـوَانُ
يَا تُونُسُ الخَضْرَاءُ عَهْدِي بِالْهَوى   صَافٍ ، وَعَهْدِي فِي الرُّبَا رَيْحَانُ
مَا بَالُ زَهْرِكِ لا يُرَفْرِفُ بِالنَّدَى   صُبْحًا وَلَا تَضْحَى بِهِ أَلْوَانُ
حَالَ الهَوى عَنْ عَهْدِ أَحْمَدَ وَارْتَخَتْ   مِنْكِ العُرَى وَتَبدَّلَتْ أَزْمَـانُ
لَوْلا نَدَى الإِيمَانِ مَا حَمَلَ الثَّرى   نَبْتًا وَلَا غَنَّتْ بِكِ الأَفْنَـانُ
رِدِّي لِمِصْرَ إِذَا نَظَرْتِ لِنِيلِهَا   عُتْبَى لِمَنْ صُرِعُوا هُنَاكَ وَبَانُوا
الضِّفَّتَـانِ رُؤًى يَضُمُّ شَتَاتَهَـا   أَيْكٌ وَتَطوِي ذِكْرَهَا الأَغْصَانُ
وَمَسَاجِدٌ نَضَّ الهَوَى بِقِبَابِهَـا   جُنْحَيْهِ فَانْتَفَضَتْ لَهَا أَحْزَانُ
الذِّكْرَيَاتُ على رُبَاهَا زَهْـرَةٌ   فَيَطِيبُ عِنْدَ شَمِيمِهَا السُّلْوَانُ
مَا بَالُ أَنْدَلُسٍ تَجِفُّ وُرُودُهَا   شَجَنًا ! أَصَوَّحَ عِنْدَهَا البُسْتَانُ
كَم كُنْتِ حَالِيَةً وَكُلُّ حُلَاكِ مِنْ   وَمْضِ الهُدى وَقِلَادُكِ العِقْيَانُ
أَهْدَى لَكِ الإِسْلَامُ أَغْلَى دُرَّةٍ   وَحَبَاكِ ثَوْبَ زَفَافِكِ الإِيمَـانُ
تَمْضِيـنَ وَالأَيَّامُ تَنْثُرُ وُدَّهَـا   طِيبًا فَتَنْفُضُ عِطْرَهَـا الأَرْدَانُ
مَجْلُوَّةً ! وَلِطَارِقٍ مِنْكِ الهَوى   تَهْوِي وتَصْرَعُ دُونَكِ الأَقْرَانُ
يُهْدِي لَكِ الأَمْجَادُ مِنْ أَنْصَالِهِ   وَتُصَاغُ مِنْ أَمْجَادِكِ التِّيجَانُ
رُدِّي عَلَيَّ مِنَ الهَوى وَحَنَانِهِ   كَم كَانَ يَحْلُو مِنْ هَوَاكِ حَنَانُ
رَدَّتْ رَوابِيك الوِشَاحَ وأغمضَتْ   عَيْنًا وقَرَّحَ جَفْنَكِ الأَشجَـانُ
تَمضِي بِسَاحَتِكِ الهُمُومُ تَثَاقُلًا   وَتَكَادُ تَسْمَعُ خَطْوَهَا الآذَانُ
تَتَقَلَّبُ الأَحْلَامُ فِي رَبَوَاتِهَـا   وَيَكَادُ يُوقِظُهَا رُؤًى وَطِعَـانُ
تَتَلَمَّسُ العَيْنَانِ بَيْنَ رُسُومِهَـا   صُوَرًا فَيَفْلِتُ لِلْخَيَالِ عِنَـانُ
فَإِذَا رُسُومُكِ يَا دِيَارُ شَوَاخِصٌ   نَفَضَتْ غُبَارَ سِنِينِهَا الفُرْسَانُ
نَهَضَتْ وَفِي الكَفَّيْنِ بَرْقُ نُصُولِهَا   خَطْفٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِهَا القُرْآنُ
وَتَلَفَّتَتْ وَالشَّوْقُ بَيْنَ عُيُونِهَا   وَالشَّوْقُ رَقٌّ وَهَاجَهُ التَّحْنَانُ
وَتَلَفَّتَ الأَقْصَى وَبَيْنَ جُفُونِهِ   دَمْـعٌ وَبَيْـنَ ضُلُوعِـهِ نِيرانُ
يَتَنَاجَيَانِ وَكُلُّ نَجْوَى حُرْقَـةٌ   وَلَظًى يَزِيدُ أُوَارَهُ الحَدَثَـانُ

لا تَلْتَقِي العَيْنَانِ إِلَّا وَالدِّمَا لَهَبٌ وَكُلُّ بِطَاحِهِ بُرْكَانُ
يَا لَوْعَةَ الأَقْصَى ! وَدَوَّتْ صَرْخَةٌ يَطْوِي صَدَاهَا ذِلَّةٌ وَهَوَانُ
أَيْنَ التُّقَاةُ ! وَمَا تَقُومُ بِآيَةٍ إِلَّا وَكَانَ صَدَى القِيَامِ سِنَانُ
تَحْنِي الرُّؤُوسَ لِذِي الجَلَالَةِ سُجَّدًا وَيَمُدُّ مِنْ عَلْيَائِهَا المَيْدَانُ
مَهْوَى القُلُوبِ وَلَيْتَهَا إِذْ أَقْبَلَتْ أَهْوَتْ بِسَاحِكَ مِنْهُمُ الرَّانُ
يَا لَوْعَةَ الأَقْصَى وَبَيْنَ ضُلُوعِهِ نَارٌ وَفَوْقَ قِبَابِهِ عُنْوَانُ
نَارٌ يَمُدُّ الحِقْدُ كُلَّ أُوَارِهَا وَوَقُودُهَا الأَمْجَادُ وَالتِّيجَانُ
وَالمِنْبَرُ الدَّاوِي عَلَى دَرَجَاتِهِ خَطْوُ الكُمَاةِ إِذَا عَلَتْ وَأَذَانُ
يَتَفَجَّرُ التَّارِيخُ مِنْ أَحْشَائِهَا شَرَرًا وَتَنْشُرُ بَيْنَهُ القِيعَانُ
وَتَلَفَّتَ الأَقْصَى لِمَكَّةَ لَوْعَةً أُخْتَاهُ ! تَنْهَشُ أَضْلُعِي الغِرْبَانُ
أُخْتَاهُ ! أَيْنَ المُسْلِمُونَ وَحَشْدُهُمْ أَيْنَ المَلَايِينُ الغُثَاةُ ! أَهَوَانًا ؟
أُخْتَاهُ ! وَانْقَطَعَتْ حِبَالُ نِدَائِهِ وَاغْرَوْرَقَتْ مِنْ دَمْعِهِ الأَجْفَانُ
وَهَوَتْ مَعَاوِلُ كَيْ تَدُقَّ حِيَاضَهُ وَهَوَتْ عَلَى أَمْجَادِهِ الجُدْرَانُ
القِبْلَتَانِ مَرَابِعٌ مَوْصُولَةٌ دَرَجَتْ عَلَى سَاحَاتِهَا الفِتْيَانُ
القِبْلَتَانِ يَمُوجُ بَيْنَهُمَا الهُدَى نُورًا وَيَخْشَعُ عِنْدَهُ الإِيمَانُ
القِبْلَتَانِ وَكُلُّ رَابِيَةٍ لَهَا حَرَمٌ وَكُلُّ شِعَابِهِ أَكْنَانُ
يُهْدِي الحَمَامُ إِلَى الشِّعَافِ هَدِيلَهُ وَيَرُدُّ جُنْحَيْهِ رِضًى وَحَنَانُ
وَيَضُمُّ بَيْنَهُمَا ظِلَالَ نُبُوَّةٍ وَالصَّاحِبَيْنِ فَطَابَ مِنْهُ مَكَانُ
وَالكَعْبَةُ الغَرَّاءُ بَيْنَ حَجِيجِهَا نُورٌ وَتَحْتَ ظِلَالِهِ إِيمَانُ
تَتَقَطَّعُ الأَيَّامُ مِنْ أَحْدَاثِهَا وَحَجِيجُهَا مُتَوَاصِلٌ رَيَّانُ
يَسْعَى وَمَا ظَمَأٌ بِهِ ، وَبِهَاجِرٍ ظَمَأُ الرُّبَى وَرَضِيعُهَا ظَمْآنُ
أَجْرَى لَهَا الرَّحْمَنُ زَمْزَمَ آيَةً فَابْتَلَّتِ السَّاحَاتُ والأَزْمَانُ
وَجَرَى بِكُلِّ عُرُوقِهَا مِنْهُ هَوًى وَصَفَتْ عَلَى جَنَبَاتِهَا الغُدْرَانُ
أَمَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَالبَيْتُ العَتِيقُ هُدًى وَآيَاتٌ لَهُ وَبَيَانُ
الطَّائِفُونَ الرَّاكِعُونَ لِرَبِّهِمْ خَفَقَتْ قُلُوبُهُمُ وَضَجَّ حَنَانُ

تَتَزَاحَمُ الأَقْدَامُ في سَاحاتِـهِ وَتَـرِفُّ بَيْـنَ ظِلاَلِـهِ الأَبْـدَانُ
وَمِنًى صَدَى رَبَوَاتِهَا التَّوْحِيدُ وَالتَّكْبِيرُ وَالإِخْباتُ وَالإِذْعَـانُ
عَرَفاتُ سَاحَاتٌ تَضِجُّ وَرَحْمَةٌ تَـغْشَى وَدَمْـعٌ بَيْنَهَـا هَتَّـانُ
لَبَّيْكَ يَا اللهُ! وَانطَلَقَتْ بِهَا رُسُلٌ وَفَوَّحَتِ الرُّبَى وَجِنَانُ
لَبَّيْكَ وَالدُّنْيَا صَدَى وَالأُفُـقُ يُرجِعُهَا نَدًى يَبْتَلُّ مِنْهُ جَنَانُ
لَبَّيْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ الرِّضَا وَالخيرُ مِنكَ بِبَابِكَ الإِحْسَانُ
لَبَّيْكَ ، وَالْتَفَتَ الفُؤَادُ وَدَارَتِ الْعَيْنَانِ وَانْفَلَتَتْ لَهَا الأَشْجَانُ
دَقَّتْ قَوَارِعُهَا الدِّيَارَ فَزُلْزِلَتْ تَحْتَ الخُطى الأَرْبَاضُ وَالأَرْكَانُ
جَمَعَتْ مَرَامِيهِ البِلاَدَ فَمَشْرِقٌ غَـافٍ وَغَـرْبٌ لَفَّـهُ النِّسْيَـانُ
أَيْنَ الحَجِيجُ ! وَكُلُّ قَلْبٍ ضَارِعٍ وَمَشارِفُ الدُّنْيَـا لَـهُ آذَانُ
نَزَعُوا عَنِ السَّاحاتِ وانْطَلَقَتْ بِهِمْ سُبُلٌ وَفَـرَّقَ جَمْعَهُـم بُلْـدَانُ
وَطَوَتْهُمُ الدُّنْيَا بِكُلِّ ضَجِيجِهَا وَهَوًى يُمَزِّقُ شَمْلَهُمْ وَهَوَانُ
وَمَضَى الحَجِيجُ كَأَنَّهُ مَا ضَمَّهُمْ عَرَفاتُ أَوْ حَرَمٌ لَهُ وَمَكَـانُ
بِالأَمْسِ كَمْ لَبَّوْا عَلَى سَاحَاتِهِ بالأَمْسِ كم طَافُوا هُنَاكَ وَعَانُوا
عَرَفاتُ سَاحَاتٌ يَمُوتُ بِهَا الصَّدَى وَتَغِيبُ خَلْفَ بِطَاحِهِ الأَلْوَانُ
لَمْ يَبْقَ في عَرَفَاتَ إِلَّا دَمْعَةٌ سَقَطَتْ فَبَكَتْ حَوْلَهَا الوِدْيَانُ
هِيَ دَمْعَةُ الإِسْلاَمِ يَلْمَعُ حَوْلَها أَمَلٌ وَتُهْـرَقُ بَيْنَهـا الأَحْـزَانُ
يَا أُمَّةَ القُرْآنِ دَارُكِ حُلْـوَةٌ مَا طَوَّفَتْ ذِكْرَى وَهَاجَ حَنَانُ
مَغْنَاكِ مَنْثُورُ الأَزاهِرِ كُلُّهَـا عَبَقٌ إِذَا خَضِرَتْ بِهِ العِيدَانُ
لا أَنْتَقِي مِنْ غَرْسِ رَوْضِكِ زَهْرَةً إِلَّا وَكَـانَ عَبيرهَـا الإِيمَـانُ
يَشْكُو ! وَيَشْكُو كُلُّ مَنْ عَرَفَ الـ ـهَوى أَوْ هَاجَهُ مِنْ طَرْفِكِ الحِرْمَانُ
ذَبُلَتْ أَزَاهِـرُهُ وَصَوَّحَ رَوْضُهُ وَبَكَـى عَلَى أَطْلاَلِـهِ السُّكَّـانُ
يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ قَدْ عَظُمَ البَلا وَارْبَدَّ في سَاحَـاتِكِ الطُّغْيَـانُ
أَفَلَتْ حَبْلَ اللهِ وَارْتَخَتِ العُرى وَجَرَتْ على سَاحَاتِكِ القِطْعَانُ
وَهَجَـرْتِ قُرْآنًا وَسُنَّـةَ أَحْمَـدٍ يَا وَيْلَ مَنْ يَنْأَى بِهِ الهُجْرَانُ

لَوَيْتِ عَنْهُ الطَّرْفَ فانْتَفَضَ الأَسَى ... يَلْوِي زِمَامَ قِيَادِكِ الشيْطَانُ
لَوَتْ بِكِ الأَيَّامُ في حَوْمَاتِهَا ... وَرَمَاكِ بَيْنَ ضُرُوسِهِ العِصْيَانُ
دَارَتْ بِكِ الآثَامُ مَوْجًا عَارِمًا ... وَهَوَى بِقَاعٍ صَدِيدِهَا الشبَّانُ
وَنَبا عَنِ السَّاحَاتِ عِلْمُكِ وَانْطَوى ... ثَوْبٌ يَلُمُّ ذُيُولَهُ الخُسْرَانُ
يَا أُمَّةَ القُرْآنِ أَيْنَ شَمَائِلٌ ... زَهَرَتْ بِهَا دَارٌ وَعَزَّ مَكَانُ
أَطَوَيْتِ مِنْ خُلُقِ الرَّسُولِ صَحَائِفًا ... عَطِرَتْ فَعَطَّرَ ذِكْرَهَا القُرْآنُ
خُلُقُ الرِّجَالِ مَعَادِنٌ لَكِ يُنْتَقَى ... مِنْ بَيْنَهَا الْيَاقُوتُ وَالمَرْجَانُ
فَرَمَيْتِهَا خَلْفَ الظُّهورِ وَرُمْتِ مَا ... تَشْقَى بِهِ الأَجْيَالُ وَالأَوْطَانُ
وَأَخَذْتِ مِنْ كُلِّ الشُّعُوبِ ضَلاَلَةً ... فَرَمَاكِ في ظُلُمَاتِهِ الكُفْرَانُ
أَلِقَتْ بِسَاحَتِكِ الدِّيَارُ ضَرِيعَهَا ... فَحَسِبْتِ أَنَّ ضَرِيعَهَا الرَّيْحَانُ
أَصْحَابَ أَحْمَدَ ! أَيْنَ مَنَّا جَوْلَةٌ ... بَرِقَتْ عَلى رَهَجِ القَنا الشُّهْبَانُ
أَكَتَائِبَ الرَّحْمَنِ أَيْنَ رِسَالَةٌ ... فَتَحَتْ قُلوبَ العَالَمِينَ فَدَانُوا
قُومِي انْظُرِي الأَحْفَادَ ! كَيْفَ نُفُـ ... ـوسُهُمْ هَانَتْ عَلَيْهَا المَكْرُمَاتُ فَهَانُوا
رُدِّي عَلَيْنَا مِنْ هُدَاكِ وَلَقِّني ... شَرَفًا : حِيَاضُ الدِّينِ كَيْفَ تُصَانُ
وَضَعِي على الكَفَّينِ بَارِقَ صَارِمٍ ... للهِ ! تَهْوِي دُونَهُ الأَوْثَانُ
هَلَّا أَعَدْتِ إلى الرُّبى يَرْمُوكَهَا ... وَالشَّاطِئَانِ مِنَ الدِّمَاءِ دِهَانُ
هَلَّا أَعَدْتِ إلى القُلُوبِ يَقِينَهَا ... وَالبُشْرَيَاتُ نَوَاضِرٌ وَجِنَانُ
عَهْدٌ مَعَ الرَّحْمنِ أَوْفَى حَقَّهُ الـ ... ـتَوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ وَالقُرْآنُ

ابن القيم والبيت الحرام

قال رحمه الله في " بدائع الفوائد" (٤٦/٢) في فضل البيت الحرام:

"اعتنى سبحانه بهذا البيت العظيم والتنويه بذكره والتعظيم لشأنه والرفعة لقدره ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله (وطهر بيتى للطائفين) لكفى بهذه الإضافة فضلا وشرفا وهذه الاضافة هى التى أقبلت بقلوب العالمين إليه وسلبت نفوسهم حبا له وشوقا إلى رؤيته فهو المثابة للمحبين يثوبون اليه ولا يقضون منه وطراً أبداً كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حبا واليه اشتياقا فلا الوصال يشفيهم ولا البعاد يسليهم كما قيل"

أطوف به والنفس بعد مشوقة ... اليه وهل بعد الطواف تدانى
وألثم منه الركن أطلب برد ما ... بقلبى من شوق ومن هيمانى
فوالله ما أزداد إلا صبابة ... ولا القلب إلا كثرة الخفقان
فيا جنة المأوى ويا غاية المنى ... ويا منيتى من دون كل أمان
أبت غلبات الشوق إلا تقربا ... إليك فما لى بالبعاد يدان
وما كان صدى عنك صد ملالة ... ولى شاهد من مقلتى ولسانى
دعوت اصطبارى عنك بعدك والبكا ... فلبى البكا والصبر عنك عصانى
وقد زعموا أن المحب إذا نأى ... سيبلى هواه بعد طول زمان
ولو كان هذا الزعم حقا لكان ذا ... دواء الهوى فى الناس كل أوان
بلى إنه يبلى التصبر والهوى ... على حاله لم يبله الملوان
وهذا محب قاده الشوق والهوى ... بغير زمام قائد وعنان
أتاك على بعد المزار ولو ونت ... مطيته جاءت به القدمان

وقال الشاعر:

أيها الراكب المجد ابتكارا ... قد قضى من تهامة الأوطارا
إن يكن قلبك الغداة خليا ... ففؤادى بالخيف أمسى معارا
ليت ذا الدهر كان حتما علينا ... كل يومين حجة واعتمارا

قال ابن الجوزى فى " مثير الغرام الساكن إلى اشرف الأماكن"

' نقلت من خط أبى عبدالله الحميدى قال: أنشدنى أبو محمد عبدالله بن عثمان النحوى بالمغرب لبعض أهل تلك البلاد فى الشوق إلى مكة.

يحن إلى أرض الحجاز فؤادى ... ويحدو اشتياقى نحو مكة حادى
ولى أمل ما زال يسمو بهمتى ... إلى البلدة الغراء خير بلاد
بها كعبة الله التى طاف حولها ... عباد هم لله خير عباد

لأقضى فرض الله فى حج بيته ... بأصـدق إيمـان وأطـيب زاد
أطـوف كمـا طاف النبيون حوله ... طـواف قيـاد لا طـواف عناد
واستلم الـركـن اليمـانى تـابعاً ... لسـنة مهـدى وطـاعة هـادى
واركـع تلقـاء المقـام مصـليا ... صـلاة أرجيهـا ليـوم معـاد
وأسعى سبوعاً بين مروة والصفا ... أهـل لـربـى تـارة وأنـادى
وآتى منى أقضى بها التفث الذى ... يتـم بـه حجـى وهدى رشادى
فياليتنى شـارفـت أجـبل مـكة ... فـبت بـواد عـند أكـرم وادى
ويا ليتنى رويت من مـاء زمـزم ... صدا خاله بين الجوانح صادى
وياليتنى قـد زرت قبـر محمد ... فأشفى بتسليم عليه فؤادى (١)

وقال الشاعر فى فضل مكة

أرض بها البيت المقدس قبلة ... للعالمين له المساجد تعدل
حرم حرام أرضها وصيودها ... والصيد فى كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها ... وإلى فضيلتها البرية ترحل
وبها المقام وحوض زمزم مترعا ... والحجر والركن الذى لا يرحل
والمسجد العالى الممجد والصفا ... والمشعران لمن يطوف ويرمل
وبمكة الحسنات يضعف أجرها ... وبها المسئ عن الخطيئة يغسل
يجزى المسئ من الخطيئة مثلها ... وتضاعف الحسنات فيها تقبل
ما ينبغى لك أن تفاخر يا فتى ... أرضاً بها ولد النبى المرسل
بالشعب دون الردم مسقط رأسه ... وبها نشأ صلى عليه المرسل
وبها أقام وجاءه وحى السما ... وسرى به الملك الرفيع المنزل
ونبوة الرحمن فيها أنزلت ... والدين فيها قبل دينك أول

هى البلد الأمين وأنت حل ... فطأها يا أمين فأنت طاها
ووجه حيث كنت كذا إليها ... ولا تعدل إلى شئ سواها
فوجه الله قبلة كل حى ... لمن شهد الحقيقة واجتلاها
وهذا البيت بيت الله فيه ... إذا شاهدت فى المعنى سناها
فهلل عند مشهده كفاحا ... وزمزم عند زمزمه شفاها
وقل بلسان عرفك فى رباها ... لنفسى فى منى بلغت مناها
إليك شددت يا مولاى رحلى ... وجئت ومهجتى تشكو ظماها

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الاماكن لابن الجوزى، ص٤٤٦ - طبع دار الحديث

وها أنا جار بيتك يا إلهي   وبالأستار ممتسك عراها
وللجيران والضيفان حق   على الجار الكريم إذا رعاها

وقال بعضهم:

يا سائقا عن النياق وزمزما   أبشر فقد نلت المقام وزمزما
كم كنت تذكرنا منازل مكة   وتقول إن بها المنى والمغنما
برد بماء سقاية العباس ما   كابدته طول الطريق من الظما
وانهض وهرول بين زمزم والصفا   وادخل إلى الحجر الكريم مسلما
ومقام ابراهيم زره مبادرا   وبحجر إسماعيل صل معظما
وانظر عروس البيت جلى حسنها   للناظرين ولذ بها مستعصما
فهى التى ظهرت فضائلها فلا   تخفى وهل يخفى سنا قمر السما
لم يلقها الإنسان إلا باكيا   فرحا بها أو ضاحكا متبسما
والنور من أحشائها لم يختفى   أبدا وإن جن الظلام وأعتما
ومن العجائب أنها محروسة   والصيد فيها لا يزال محرما
والطير لا تعلو على أركانها   إلا ليشفى إذ نجا متألما
تختال فى حلل السواد وبابها   بالنور منها مبرقعا وملثما
هى كعبة المولى الكريم وكل من   وافى اليها حقه أن يكرما
مامنهم إلا ذليل خاضع   باك على زلاته متندما
يارب قد وقفت ببابك عصبة   يرجون منك تفضلا وتكرما
ذا طالبا فضلا وذا متقصدا   مما جناه من الذنوب وقدما(١)

وقال آخر:-

بأرض النيل يا هذا تقيم   وقد رحل الأحبة يا سقيم
ومالك والتخلف عن فريق   متى رحلوا حللن بك الهموم
طوت بهم المراحل فى الفيافى   فلائص تذرع الفلوات كوم
إلى الميقات ظلت خائضات   غمار الآل يلفحها السموم
وباتت عندما وردت أداما(٢)   تحن فلا تنام ولا تنيم
وفى أم القرى قرت عيون   عشية لاح زمزم والحطيم
أولاك الوفد وفد الله لاذوا   إليه بفقرهم وهو الكريم

---

(١) رحلة الصديق إلى البيت العتيق لصديق حسن خان ص١٢٠-١٢١، ٣١- ٣٢- دار ابن القيم.
(٢) جمع ولد.

وطافوا قادمين ببيت ربه ... فتم لهم طوافهم للقدوم
وبين المروتين سعوا سبوعا ... لكي يمحو شقاءهم النعيم
وقاموا في تمام الحج فرضا ... وندباً طالبين رضاً يدوم
وأدوا في المشاهد كل حق ... وما سمعوا ملامة من يلوم
وراحوا بعد للتوديع لما ... قضوا تفثا هناك ولم يقيموا
وعادوا راحلين إلى حبيب ... له العلياء والحسب الصميم
هو القمر المضئ لكل سار ... وملته الصراط المستقيم
عليه صلاة ربي ما تناغت ... حمام الأيك أو سرت النجوم

وقال الشاعر عن الكعبة:

وذات جمال في أباطح مكة ... محاسنها تحكي سناء توقدا
إذا ما رآها العابدون رأيتهم ... يخرون للأذقان يبكون سجداً
عكوفا بمغناها حيارى بحسنها ... فلله كم أصبت قلوبا وأكبدا
وما زلت أوليها بوادر عبرتي ... وأسأل عنها كل من راح أو غدا
ولو أنصفتني ساعدتني بزورة ... أعيش بها بعد الفراق مخلدا
فوالله ثم الله كلي لوعة ... إذا طفئت بالدمع زادت توقدا
وما أنا في مغناك أول منشد ... سقاك ورواك الغمام وردد!

وقال الشاعر

لقد شاقني حجاج بيت ببكة ... فشوقي مع الزوار يسري ويدلجُ
تظل الهوادى بالهوادج ترتمي ... ومالي في ركب المحبين هودج
وتمسي بروق الأبرقين ضواحكا ... فتغري غرامي بالبكا وتهيج
وأرتاح من أرواح أطيب بلدة ... إذا المسك في أرجائها يتأرج
بلاد بها جبريل يسحب ريشه ... وينزل من جو السماء ويعرج

ونختم بما قاله ابن الجوزى شوقا إلى مكة

قال رحمه الله فى " فى مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن" ص٤٥٠.

"ولى من قصيدة أتشوق فيها إلى مكة:

سلام على الديار التى لا تزورها ... على أن هذا القلب فيها أسيرها
إذا ما ذكرنا طيب أيامنا بها ... توقد فى نفس الذكور سعيرها
رحلنا وفى سر الفؤاد ضمائر ... إذا هب نجدى الصبا يستثيرها
سحت بعدكم تلك العيون دموعها ... فهل من عيون بعدها يستعيرها
أتنسى رياض الغور بعد فراقها ... وقد أخذ الميثاق منك غديرها
يجعده مر الشمال وتارة ... يغازله كر الصبا ومرورها
إلا هل إلى شم الخزامى وعرعر ... وشيح بوادى الأثل أرض يسيرها
ألا أيها الركب العراقى بلغوا ... رساله محزون حواه سطورها
إذا كتبت أنفاسه بعض وجدها ... على صفحة الذكرى محاه زفيرها
ترفق رفيقى، هل بدت نار أرضهم ... أم الوجد يذكى ناره وينيرها
أعد ذكرهم فهو الشفا وربما ... شفى النفس أمر ثم عاد يضيرها
ألا أين أيام الوصال التى خلت ... وحين خلت حلت، وجاء مريرها
سقى الله أياما مضت ولياليا ... تضوع رياها وفاح عبيرها

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

العفاني